أصول مدرسة التاريخ في المدينة

عروة - الزهري

بدأت الدراسات تاريخية وغيرها، بجهود مشتركة تتمثل في حلقات للدراسة، تحيط كل حلقة بأستاذ، وقد يبرز طالب العلم حين يجتاز مرحلة دراسية فيكون حلقته، والدراسة مفتوحة لمن يريد والرواية تسير في سلسلة، وبنتيجة ذلك وبمرور الزمن تكونت مدرسة في التاريخ والحديث والفقه.

وأول مدرسة للتاريخ هي مدرسة المدينة، مدرسة «المغازي»[1]، وترتبط في نشأتها ووجهتها بجهود اثنين من الفقهاء المحدّثين: عروة بن الزبير وتلميذه الزهري.

- ١ -

وعروة من أشراف قريش، أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وجدَّته صفية بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ، وأخوه عبدالله بن الزبير وزوجته، أم يحيى -أصغر ولد الحكم-، وكان يعتز بنسبه من جهة الأب والأم[2]. وكان لذلك أثر في نشأته وفي رواياته.

---

(١) تعني كلمة «المغازي» عادة المعارك والغزوات. ومع أن هذا صحيح لغوياً إلا أن معنى الكلمة في هذا الصدد وفي هذه الفترة يشمل دور الرسالة.

(٢) انظر البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٧١، ١٦٠؛ الجاحظ - البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٠؛ الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٢٣١٣؛ الذهبي - تراجم رجال روى عنهم ابن إسحق، ص ٤٠.

وتختلف الروايات في سنة ولادته، فقيل: إنه ولد سنة ٢٢هـ وقيل سنة ٢٦هـ وقيل سنة ٢٩هـ[١]. وجاء في رواية أنه ولد سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م ويبدو أنها أدق الروايات، إذ تؤيدها رواية أخرى تذكر أنه كان يوم الجمل (سنة ٣٦هـ) ابن ثلاث عشرة سنة، ويسندها ما ذكره عن نفسه بأنه ردَّ يوم الجمل من الطريق لصغر سنة[٢]. ولدينا عدة روايات عن سنة وفاته، فيضعها الطبري سنة ٩٤هـ، وبذلك قال «ابن سعد وجماعته»[٣] بينما يجعله ابن قتيبة بين ٩٣هـ و ٩٤هـ ويردد ذلك ابن خلكان، هذا إضافة إلى روايات أخرى[٤]. ولكن أقدم الروايات وأوثقها تجعل وفاته سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م.

نشأ عروة ودرس في المدينة، وأقام بعدئذ بمصر سبع سنين بين ٥٨ و ٦٥هـ وتزوج فيها[٥]. وزار دمشق عدة مرات. وكان طموح عروة يختلف عن طموح والده وأخويه عبدالله ومصعب، وقد عَبر هو عن وجهته بوضوح بقوله: «أمنيتي الزهد في الدنيا والفوز في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنهم العلم»[٦]. ويتمثل هذا في سيرته، فقد روى عنه ابن هشام بأنه «كان يصوم

---

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢١ (القاهرة)؛ الذهبي - تراجم ص ٤٨.

(٢) ابن حجر - تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٣ - ١٨٤؛ ابن سعد - الطبقات (نشره سخاو)) ج٥ ص١٣٣؛ الذهبي - تراجم ص ٤٨.

(٣) الطبري ج١ ص ١٢٦٦؛ ابن سعد ج ٥ ص ١٣٥؛ الذهبي - تراجم ص ٤٢، ٤٨.

(٤) ابن قتيبة - المعارف (القاهرة ١٩٣٤) ص ٩٨؛ ابن خلكان ج ٢ ص ٤٢١. والروايات الأخرى تجعل الوفاة سنة ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠١هـ.؛ ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ١٨٤؛ النووي - تهذيب الأسماء ص ٣٣١؛ الذهبي - تراجم ص ٤٨.

(٥) البلاذري - فتوح (القاهرة ١٩٣٢) ص ٢١٩؛ هوروفتس - المغازي الأولى ومؤلفوها، تعريب حسين نصار، ص ١٣.

(٦) ابن خلكان - وفيات ج ٢ ص ٤٢١.

الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر ومات وهو صائم»[1]. ويتجلى حبُّه للعلم من رواية ابنه هشام إذ يقول: «أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له. فكان يقول بعد ذلك لأن تكون عندي أحب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[2]. ولم يشارك عروة في الأحداث السياسية المتوالية في زمنه. قال العجلي فيه «كان ثقة رجلاً صالحاً لم يدخل في الفتن»[3]. هذا مع أنه كان ضد سياسة الأمويين، ولكنه يرى اعتزال «أهل الجور»[4].

وقد أمضى عروة حياته بين الدرس والتدريس، فكان يتتبع الحديث والعلم وروى عن أعلام المدينة من رجال ونساء مثل: عائشة وعمرة وأسامة بن زيد وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وعبدالله بن عباس[5]. وأصبح من فقهاء المدينة السبعة ومن أعلام محدثيها حتى قال عمر بن عبدالعزيز عنه: «ما أحد أعلم من عروة بن الزبير». وقال الزهري: «كان عروة بحراً لا يكدره الدلاء»[6]. ويهمنا هنا أن ندرس عروة كمؤرخ تاركين دوره في الفقه والحديث.

وقبل الخوض في دراساته التاريخية، نبين أنه كانت لعروة صلاتٌ

(١) ابن سعد - الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ ؛ الذهبي - تراجم ص ٤٢ وانظر ص ٤٣ .

(٢) ابن سعد ج ٥ ص ١٣٣ ؛ الذهبي تراجم ص ٤١ .

(٣) الذهبي - تراجم ص ٤٥ .

(٤) ابن سعد ج ٥ ص ١٣٥ ؛ الذهبي - تراجم ص ٤٣ - ٤٤ .

(٥) انظر ابن سعد ج ٥ ص ١٣٥ ؛ الذهبي - تراجم ص ٤٥ .

(٦) انظر ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ١٨٢ ؛ الأغاني (طبعة دار الكتب) ج ٨ ص ٨٩، ٩٣ ؛ الذهبي - تراجم ص ٤٥-٤٦ . ويقول الجاحظ (البيان ج ٢ ص ٢٠٢) وعظ عروة بنيه فقال: «تعلموا العلم فإنكم ان تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين» . وانظر ابن سعد - الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ .

بالأمويين، فهو يعرف عبدالملك في صباه في المدينة وكان يجتمع به في مسجد المدينة ووفد عليه في دمشق بعد مقتل أخيه عبدالله، كما وفد على الوليد. وكان يلقى عنتاً من أهل الشام، وما لدينا من أخبار يدل على احترامهم لعلمه وعلى أن صلته بهم كانت على حذر، ولا يهمنا إلا أن البلاط الأموي سأله عن حوادث تتعلق بفترة الرسالة فأجاب عن ذلك برسائل وصلنا بعضها في الطبري وهي من أقدم القطع التاريخية التي وصلتنا ومن أوثقها[1].

وسنحاول فيما يلي الإشارة إلى آثار عروة التاريخية لتكوين فكرة تقريبية عنها:

١ - بعث الرسول وهو ابن أربعين سنة[2]، أوليات النبوة، «وأول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة... الرؤيا الصادقة... وحبب الله تعالى إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده»[3].

نزول الوحي على الرسول وهو يتعبد في غار حراء، والآيات الأولى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ...﴾. الروع الذي حلَّ بالرسول من أثر ذلك وتعبيره لخديجة عن قلقه فتنطلق به إلى ورقة بن نوفل، ونبوءة ورقة بأنه سيكون له شأن عظيم[4].

ويورد عروة رسالةَ تبين كيف تبَّين للرسول أنه معد للمهمة العظمى -وهي

---

(١) انظر عن صلة عروة بالأمويين - ابن خلكان ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١؛ الأغاني ج ٤ ص ١١٨، ج ٩ ص ١٤٧، ج ١٦ ص ٤٤-٤٥ وج ٤ ص ١٢٣؛ الجاحظ - البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٠.

(٢) الطبري ج ١ ص ١١٤٠، ١٨٣٥.

(٣) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٩.

(٤) الطبري ج ١ ص ١١٤٧؛ الأغاني [دار الكتب] ج ٢ ص ١٥.

خبر الملكين اللذين لقياه ببطحاء مكة وشقا بطنه وقلبه وأخرجا مغمز الشيطان وعلق الدم من جوفه وجَعْلهما خاتم النبوة بين كتفيه[١] .

٢ - الهجرة إلى الحبشة . وترد في رسالة من عروة إلى عبدالملك بن مروان ، فيها يتحدث عن بداية الدعوة وموقف قريش آنئذ إذ يقول : «لم يبعدوا عنه أول ما دعاهم وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم . . . » فاشتدوا عليه حينئذ فانفض الناس عنه الا القليل ، «فمكث بذلك ما قدَّر الله أن يمكث» . ثم يذكر ان قوماً من قريش وفدوا من الطائف إلى مكة أنكروا دعوة الرسول وأغروا به قومه فاشتدوا على المسلمين ، ثم تآمروا عليه ليفتنوا من تبعه «فكانت فتنة شديدة الزلزال . . . فافتتن من افتتن وسلَّم الله من شاء» . فلما رأى الرسول ما حلَّ بأصحابه أمرهم بالهجرة إلى الحبشة . وأوضح عروة سبب اختيار الحبشة بأنه كان فيها ملك صالح لا يُظلم أحد بأرضه ، كما أن بلاد الحبشة كانت متجراً لقريش . فهاجر كثير منهم وبقي هو «فمكث بذلك سنوات»[٢] . ويذكر تنصر عبيدالله بن جحش بالحبشة[٣] .

٣ - ازدياد مقاومة قريش للدعوة - وما كان يلاقيه الرسول من أذى قريش حتى إنهم كانوا يرمون القاذورات في داره ، ونثر بعضهم التراب على رأسه[٤] . وذكر أسماء المستهزئين من قريش بالرسول[٥] .

---

(١) الطبري ج ١ ص ١١٥٤ .

(٢) الطبري ج ١ ص ١١٨٠ - ١١٨١ .

(٣) ابن هشام ج ٤ ص ٦ .

(٤) الطبري ج ١ ص ١١٩٩ ؛ ابن هشام ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) ابن هشام ج ٢ ص ٥٠ .

اجتماع قريش في الحجة يتذاكرون أمر الرسول ويقولون: «إنه سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرَّق جماعتنا وسبّ آلهتنا». ومرَّ الرسول بقريش في اليوم الثاني فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه فقام أبو بكر دونه يقول وهو يبكي: ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله. فانصرفوا عنه(١).

خروج أبي بكر من مكة بعد أن رأى تظاهر المشركين على الرسول ورجوعه إليها في جوار ابن الدغنة (٢).

٤ - الهجرة، يبدأ عروة بتمهيد عن الظروف المؤدية لذلك، فيشير إلى رجوع جل من هاجروا إلى الحبشة: و«جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون، وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة الإسلام، فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله». واضطربت قريش وتآمرت على أن تفتن المسلمين، «فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة». ويذكر عروة اتصال المدنيين بالرسول قائلاً: «ثم إنه جاء رسول الله ﷺ سبعون نقيباً رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهودهم على أنا منك وأنت منا». فاشتدت قريش على المسلمين فأمر الرسول بالهجرة إلى المدينة، وهي التي أنزل الله (عز وجل) فيها: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(٣).

---

(١) الطبري ج ١ ص ١١٨٥ ؛ ابن هشام ج ١ ص ٣٠٩ .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٠٩ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٢٤ - ١٢٢٥ .

وهذه القطعة تكمل حديث الفتنة الأولى والهجرة إلى الحبشة، ولا ندري إن كانت هذه جزء من رسالة عروة إلي عبدالملك -كما يظن هوروفتس- أو أنها رواية مستقلة، إذ يحتمل أن عروة حدَّث بمحتويات تلك الرسالة وبهذه التتمة[1].

حديث هجرة الرسول ﷺ نفسه إلى المدينة - ابتدأ عروة بالإشارة إلى هجرة المسلمين إلى المدينة وبقاء الرسول بمكة ينتظر الوقت المناسب. ويذكر عروة تفاصيل التدابير للهجرة واختفاء الرسول وأبي بكر في غار ثور ثلاثة أيام وما رافق ذلك، ويصف بقية الطريق حتى المدينة[2]. وتأتي هذه القطعة باسناد القطعتين السابقتين وفيها إشارة للآية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، كل هذا يدعو للاعتقاد بأن حديثها يتمم الروايتين السابقتين[3].

وفي رواية أخرى يذكر عروة وصول الرسول إلى قباء في طريق المدينة، وكيف كان المسلمون ينتظرون قدومه كل يوم[4].

يذكر عروة إصابة بعض أصحاب الرسول بالحمى بعد وصولهم المدينة[5].

---

(١) انظر المغازي الأولى ص ٢٠.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٢٣٤ وبعدها. وهناك رواية أخرى تذكر خبر الهجرة تشبه الرواية السابقة الا انها بسلسلة اسناد مختلفة. الطبري ج ١ ص ١٢٣٧.

(٣) هذا جعل هوروفتس يعتبرها والقطعتين السابقتين من رسالة واحدة إلى عبدالملك (المغازي الأولى ص ٢٠) ولكني لا أرى ذلك.

(٤) الطبري ج ١ ص ١٢٤٢؛ ابن هشام ج ٢ ص ١٣٧.

(٥) البلاذري - فتوح ص ٢٥؛ ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٨.

ورواية عن موقف عبدالله بن أُبي من دعوة الرسول، فيها يبدو عدم الارتياح والجفاء للرسول[1].

٥ - خبر سرية عبدالله بن جحش - وفي الرواية تفاصيل إنفاذ السرية وتوصية الرسول لعبدالله، والهجوم على القافلة القرشية، واستيلاء المسلمين على العير، ومقتل اثنين من القرشيين، وتبلبل الرأي حول مسألة القتال في الشهر الحرام حتى نزلت الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ...﴾، ثم استلام الرسول للعير[2].

٦ - غزوة بدر - ترد رواية عروة في رسالة بعث بها إلى عبدالملك بن مروان تبدأ بـ: «أما بعد، فإنك كتبت إليَّ في أبي سفيان ومخرجه...»، وهي رواية طويلة متسلسلة، تبدأ بذكر عودة أبي سفيان من الشام، واستنجاد أبي سفيان بقريش، وأسر النبي ﷺ لغلام من روايا قريش ومحاولته معرفة عدد العدو. ويشير عروة إلى استعداد الرسول للمعركة والتقاء الجمعين وانتصار المسلمين. ولا يتحدث عن تفاصيل القتال ويكتفي بالقول: «والتقوا (قريش) هم والنبي ﷺ ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المسلمين منهم.» وفي الرسالة نواحي طريفة منها مقدمة تمهيدية تقول: «وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخله. وأسرت أسارى من قريش... أصابهم عبدالله بن جحش... وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله وبين قريش وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب.»

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٢٧٣.

ونلاحظ وصفه لنفسية المسلمين حين خرجوا إلى بدر: «لا يرونها الا غنيمة لهم لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم»[١].

وترد إشارات أخرى إلى (بدر) برواية عروة منها قول الرسول للمسلمين حين ندبهم «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها»[٢]. ومنها تخوف قريش من بكر إن هي خرجت، ودور إبليس في تطمينها[٣]. ودعاء الرسول يوم بدر حين رأى جموع قريش مقبلة «اللهم إنك أنزلت علي الكتاب ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد. اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة»[٤]. ثم طرح قتلى المشركين في القليب بعد انتهاء المعركة[٥].

٧ - غزوة قينقاع - وبعد بدر أظهرت قينقاع الحسد والغش. ويذكر عروة نزول آية ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً...﴾ الأنفال ٨٥. ومحاصرة الرسول لهم ونزولهم على حكمه ووساطة عبدالله بن أُبي وإجلاءهم عن المدينة، وما أصاب الرسول من أموالهم[٦].

ذكر غزوة بئر معونة[٧]. إشارة عابرة إلى غزوة الرجيع[٨].

(١) الطبري ج ١ ص ١٢٨٤ - ١٢٨٨.
(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٧.
(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٩٦؛ ابن هشام ج ٣ ص ٢٦٣.
(٤) الواقدي - المغازي ص ٤٣ [القاهرة].
(٥) الطبري ج ١ ص ١٣٣١؛ ابن هشام ج ٢ ص ٢٩١.
(٦) الواقدي - المغازي ص ١٣٩، ١٤١؛ الطبري ج ١ ص ١٣٦٠.
(٧) الواقدي - المغازي ص ٢٧٠.
(٨) نفس المصدر ص ٢٧٥.

٨ - غزوة الخندق - محاولة اليهود تحزيب الأحزاب على الرسول، وتحريضهم قريشاً وغطفان وخروج قريش بقيادة أبي سفيان تتبعها غطفان وفزارة وبنو مرة وقوم من أشجع. يسمع الرسول بذلك ويضرب خندقاً على المدينة[١].

٩ - غزوة بني قريظة - وبعد ذهاب الأحزاب عزا الرسول قريظة وحاصرهم فنزلوا على حكمه، فولى سعد بن معاذ الأمر فحكم فيهم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وتقسيم أموالهم[٢].

١٠ - غزوة بني المصطلق - وإشارة إلى توزيع سبايا بني المصطلق، وزواج الرسول من جويرية بنت الحارث[٣]. خبر الإفك في هذه الغزوة[٤].

١١ - صلح الحديبية - خرج الرسول عام الحديبية لزيارة البيت ومعه البدن لا يريد قتالاً، وعدد من معه. نزول الرسول الحديبية والمفاوضات مع قريش. الدعوة إلى الموادعة، الهدنة والصلح لعشر سنين على «أن يأمن بعضهم بعضاً على ألا أغلال ولا أسلال . . . إلخ». أدخل النبي في عهده خزاعة وأدخلت قريش في عهدها حلفاءها بني بكر. بقية الشروط وتأجيل دخول المسلمين مكة إلى العام القابل[٥].

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٤٦٣.

(٢) البلاذري - فتوح ص ٣٥؛ ابن سلام - الأموال ص ١٢٩؛ ابن هشام ج ٣ ص ٣٥٢؛ الطبري ج١ ص ١٤٩٤.

(٣) الطبري ج ١ ص ١٥١٧؛ ابن هشام ج ٣ ص ٣٠٧، وانظر ابن هشام ج ٤ ص ٢٩٥ عن رواية أخرى لعروة حول زواج الرسول بجويرية.

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ٣٠٩. هناك إشارة لحديث الإفك في الطبري ج ١ ص ١٥١٨.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٥٣٤؛ ابن سلام - الأموال ص ١٥٧، ١٥٨؛ البلاذري - فتوح ص ٤٩.

١٢ - غزوة مؤتة - تاريخها، وتنظيم قيادتها ، وعدد المشاركين فيها . وصول المسلمين معان ومجيء هرقل بعدته ومعه حلفاؤه، وقرار المسلمين بعد المذاكرة[١] . رجوع المسلمين وموقف الناس والصبيان منهم وتشجيع الرسول لهم[٢] .

١٣ - فتح مكة - رواية تذكر بعض شروط صلح الحديبية ونقض قريش لها في النزاع بين بكر حليفتها وبين خزاعة حليفة الرسول [٣] . حاطب بن بلعته يكتب إلى قريش بعزم الرسول على السير إليهم[٤] .

ويفصل عروة خبر فتح مكة في رسالة بعث بها إلى عبد الملك فيوضح سبب الحملة وتنظيمها ومجيء رسل قريش إلى الرسول (أبو سفيان ومن معه) ودخول المسلمين مكة وقتال خالد للأحابيش وانتصاره عليهم مع بعض التفاصيل الفردية [٥] .

١٤ - غزوة حنين - مكث الرسول في مكة حوالي نصف شهر . تجمع ثقيف وهوازن عندما سمعوا بخبر الحملة (على مكة)خوفاً من توجهها إليهم ومجيئهم بعدئذ إلى وادي حنين . أتاهم الرسول وهزمهم وغنم ما معهم من ماشية وسبى النساء والصبايا[٦] . مجيء وفد هوازن بالإسلام بعد غزوة الطائف، فأعتق

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٦١٠ ؛ ابن هشام ج ٤ ص ١٥ .
(٢) الطبري ج ١ ص ١٦١٧ ؛ ابن هشام ج ٤ ٢٤ .
(٣) ابن هشام ج ٤ ص ٣٢ ؛ الطبري ج ١ ص ١٦١٩ .
(٤) ابن هشام ج٤ ص ٤٠ .
(٥) الطبري ج ١ ص ١٦٣٢-١٦٣٦ ، ١٦٤٤ ؛ ابن هشام ج ٤ ص ٦٠ .
(٦) الطبري ج ١ ص ١٦٥٤ .

الرسول أبناءهم ونساءهم[١] .

١٥ - غزوة الطائف - توجه الرسول إلى الطائف بعد حنين، وقتال ثقيف للمسلمين من وراء الحصن، وإسلام من حولهم من الناس. دوام الحصار لنصف شهر. عودة الرسول إلى الجعرانة حيث كان سبي حنين، وبعد أن أعتقه رجع إلى المدينة. مجيء وفد ثقيف إلى المدينة ومبايعته الرسول[٢] .

١٦ - رسائل من النبي إلى جهات مختلفة - كتاب إلى أهل هجر[٣] . كتاب إلى الحارث بن عبد كلال وإلى شريح بن عبدكلال وإلى نعيم بن عبدكلال[٤] . كتابه إلى المنذر بن ساوى[٥] . كتابه إلى أهل اليمن[٦] . كتابه إلى ثقيف[٧] . كتابه إلى أهل ايله[٨] . كتابه إلى خزاعة[٩] . كتابه إلى زرعة بن ذي يزن[١٠] . كتابه إلى عبدالله بن جحش[١١] .

١٧ - الفترة الأخيرة من حياة الرسول - أمر الرسول بإعداد حملة أسامة، بدء مرض الرسول. حثه المسلمين على إنفاذ بعث أسامة[١٢] . اشتداد مرض

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٧٧٠ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) البلاذري - فتوح ص ٦٠ ؛ ابن سالم - الاموال ص ١٩٩ .
(٤) ابن سلام ص ١٣ .
(٥) نفس المصدر ص ٢٠ .
(٦) نفس المصدر ص ٢٧ .
(٧) نفس المصدر ص ١٩٠ .
(٨) نفس المصدر ص ٢٠٠ . (٩) نفس المصدر ص ٢٠٠ .
(١٠) البلاذري - فتوح ص ٨١ ؛ ابن سالم ص ٢٠١ .
(١١) الطبري ج ١ ص ١٢٧٣ .
(١٢) الطبري ج ١ ص ١٨٠٨-١٨٠٩ ؛ ابن هشام ج ٤ ص ٢٩٩ .

الرسول ووفاته، وعمره[١] . إشارة إلى خروج الأسود العنسي ومقتله في حياة الرسول[٢] .

١٨ - شؤون خاصة - في رسالة إلى عبدالملك يرد ذكر وفاة خديجة وزواج الرسول من عائشة[٣] . وفي رسالة إلى الوليد يبين عروة أن الرسول لم يتزوج أخت الأشعث ولا تزوج كندية بل تزوج أخت بني الجون ولكنه لم يبنِ بها وطلقها[٤] .

ولم يقصر عروة اهتمامه على المغازي بل تعرض لفترة الراشدين، وهذا واضح في بعض المقتبسات التي وصلت عنه. ونحن نشير إليها بإيجاز لتكوين فكرة عامة عن دراساته.

١ - يذكر عروة عزم أبي بكر على إنفاذ بعث أسامة رغم ردة القبائل وحرج وضع المسلمين[٥] . ويورد خبر ردة القبائل بإيجاز واف شامل[٦] . ويفصل في خبر ردة اليمامة لخطورتها[٧] . ويذكر خبر مجيء متمم بن نويرة إلى أبي بكر ينشد دم أخيه ويطلب رد السبي ويشكو خالد بن الوليد، ثم يذكر رفض أبي بكر مشورة عمر بتنحية خالد[٨] .

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٨١٣، والطبعة الحسينية ج ٢ ص ٤٤٧، ٤٥٤ ؛ ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٢) الطبري ج ٢ ص ٤٣١ (مطبعة الاستقامة) .
(٣) الطبري ج ١ ص ١٧٧٠ .
(٤) الطبري ج ٣ ص ٢٤٥٨ .
(٥) الطبري ج ٢ ص ٤١٦ (الاستقامة) .
(٦) الطبري ج ٢ ص ٤٧٥ (الاستقامة) .
(٧) البلاذري - فتوح ص ٩٩ .
(٨) الطبري ج ٢ ص ٥٠٣، وج ١ ص ٢٠٨٥ (ليدن) .

٢ - أبو بكر يجهز الجيوش إلى الشام ويبين طريق كل قائد[١] .

خبر أجنادين وتاريخ المعركة وانتصار المسلمين، وأسماء بعض من استشهد[٢] .

٣ - طلب العباس وفاطمة من أبي بكر ميراثهما من الرسول -فدك وسهم الرسول من خيبر- ورد أبي بكر . طلب أزواج النبي من أبي بكر مواريثهن من سهم الرسول بخيبر وفدك ورأي عائشة[٣] .

٤ - ترك أبي بكر للتجارة لينصرف لشؤون المسلمين واعتماده على مرتب من بيت المال[٤] . مرض أبي بكر وتاريخ وفاته[٥] .

٥ - إشارة إلى وقعة اليرموك[٦] . إشارة إلى وقعة القادسية[٧] .

٦ - خبر عن ذهاب عمر بن الخطاب إلى إيله (في طريقه إلى القدس)[٨] .

٧ - خبر عن وقعة الجمل[٩] .

ويتعذر علينا من الروايات المتعلقة بفترة الراشدين تكوين فكرة عن نظرة

---

(١) الطبري ج ١ ص ٢٠٨٥ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢١٢٥ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١٨٢٥ ؛ البلاذري - فتوح ص ٤٤ .

(٤) ابن سلام - الأموال ٢١١ .

(٥) الطبري ج ١ ص ٢١٢٨ ، ٢١٣٠ .

(٦) الطبري ج ١ ص ٢٣٤٨ .

(٧) الطبري ج ١ ص ٢٢٥١ .

(٨) الطبري ج ١ ص ٢٥٢٢ .

(٩) الطبري ج ١ ص ٣٢٠٧ ويروي عروة خبراً عن مقتل أخيه مصعب وتعليق عبدالملك بن مروان على ذلك . والطبري ج ٢ ص ٨١١ .

عروة التاريخية، فهو لا يفصل نسبياً إلا في أخبار الردة، وما عدا ذلك يورد نتفاً وإشارات عابرة. ونلاحظ في أخباره عن الردة أنه يتبع أسلوبه نفسه في المغازي، ولكننا نجد مادة أكثر في مغازيه ونستطيع تكوين فكرة تقريبية منها.

فنرى أن عروة تطرق في مغازيه إلى بدء الوحي وبداية الدعوة والهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة. ثم تناول بعض فعاليات فترة المدينة مثل سرية عبدالله بن جحش، وغزوة بدر الكبرى. وغزوة قينقاع، والخندق، وغزوة بني قريظة، وصلح الحديبية وحملة مؤتة، وفتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة الطائف، وبعض مراسلات الرسول، وأواخر أيامه. وقد جاءت بعض رواياته أجوبة على أسئلة البلاط الأموي وبعضها حدَّث بها طلبته.

ويبدو أن رواياته مجرد خطوط أولية تتباين في التفصيل، ففي حين أن بعضها لا يعدو إشارات عابرة نرى البعض الآخر متصلاً كما في حديثه عن بدر والحديبية وفتح مكة. ونلاحظ أن معركة أحد لا يرد عنها ما يذكر[1]. كما أننا لا نجد في هذه الروايات ذكراً لتاريخ الوقائع (عدا مؤتة). ومع هذا فإننا نرى أن عروة تناول «المغازي» في دراسته، ولم يقتصر في ذلك على الغزوات بل تناول بعض نواحي السيرة منذ نزول الوحي إلى وفاة الرسول ﷺ. وترى في السخاوي إشارة إلى «مغازي» عروة[2]، وأورد حاجي خليفة ما يؤيد ذلك بقوله «ويُقال أول من صنف فيها (المغازي) عروة بن الزبير»[3]. وكل ما

(١) في الطبري إشارة عابرة إلى حادث استلام أبي دجانة لسيف الرسول في أحد. ج ٢ ص ١٩٤ (الاستقامة).

(٢) السخاوي - الإعلان ص ٨٨.

(٣) كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٤٧.

نستنتجه المقتطفات التي أوردناها هو أن عروة حدَّث في المغازي ولكننا لا نستطيع أن نتبين في رواياته خطة واضحة للسيرة.

كان عروة محدثاً ثقة، وقد اتبع أسلوب أهل الحديث في رواياته. ومكنته منزلته وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات من منابعها. ونحن نجد ذكر الإسناد في بعض رواياته»[1]، ولا يرد إسناد في روايات أخرى[2]. ويبدو أن عروة أدمج في أجوبته المكتوبة إلى عبدالملك عدة أحاديث في رواية متسلسلة وإن لم يذكر إسناداً، ولنتذكر أن عروة من أجلة التابعين وأن قواعد الإسناد لم تتبلور وأن الرواية المباشرة - وخاصة التاريخية - عن تابعيٍّ سبيل موثوق.

وعني عروة بالوثائق المكتوبة جنب الروايات الشفوية فأورد جملة من كتب الرسول إلى جهات مختلفة كما لا حظنا أعلاه، وهذه ناحية مهمة في وجهة الكتابة التاريخية. كما أنه استشهد بالآية القرآنية التي تتصل بالحوداث، كما في حديثه عن الهجرة[3]، وفي توضيحه لنفسية المسلمين عند خروجهم إلى بدر[4]، وفي عرضه لغزوة قينقاع[5]. كما أنه شرح لابن هنيدة كاتب الوليد الظروف التاريخة للآيات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ...

---

(١) الطبري ج ١ ص ١١٤٧، ١١٥٤، ١١٨٥، ١٢٣٧، ١٣٣١، ١٥٣٤، ١٤٥٤، ١٨٠٨، ١٨٠٩، ١٨١٣، ١٨٢٥، ١٨٣٥، ٢١٢٨، ٢٢٥١.

(٢) الطبري ج ١ ص ١١٤٠، ١١٦٧، ١١٩٩، ١١٧٣، ١٢٩٦، ١٥١٨، ١٦٥٤، ١٣٦٠، ١٦١٠، ١٦١٧، ١٣٧٠، ١٤٦٣، ١٨٣٦، ٢٠٨٥، ٢١٢٥، ٢٥٢٢، ٢٣٠٧.

(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٢٤.

(٤) الطبري ج ١ ص ١٢٨٤.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٣٦٠.

اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وبذلك عرَّف بناحية مهمة وهي هجرة نساء بعد الحديبية من مكة إلى المدينة، رغبة في الإسلام، وموقف الرسول منهن[١] . وهذا يشير إلى الصلة المبكرة بين التفسير والتاريخ. وقد صار الاستشهاد بالآيات في المغازي وجهة مألوفة.

إن قيمة الرواية هي في الثقة براويها، وقد أخذ عروة عن ثقات، وأشهر من روى عنهم عائشة وأكثر أحاديثه عنها، وقد كان يشعر بأهمية أحاديثها[٢] . وروي عن آل الزبير[٣] ، وعن آخرين مثل: أسامة بن زيد[٤] وعبدالله بن عمرو ابن العاص[٥] و أبي ذر[٦] . وهذا التأكيد على المحدث أدى إلى وجود صدى ضعيف للقصص الشعبي فيما روى، فمثلاً يروي عن عائشة: «لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال على قبره نور»[٧] . وفي هذه الحالة نرى دقة عروة في روايته إذ نراه يحترس ويقول «كان يتحدث»، وكمثل آخر نجده حين ذكر أسر المسلمين لروايا من قريش قبل بدر واستجوابهم يقول «فزعموا أن النبي قال . . . إلخ»[٨] .

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٤٠ .

(٢) انظر الذهبي - تراجم ص ٤٦ - وعن بدء الوحي الطبري ج ١ ص ١١٤٧، وعن حديث الهجرة الطبري ج ١ ص ١٣٣٤-١٣٤٠ وعن بعض زيجات النبي - الطبري ج ١ ص ١٢٦٢ و ١٥٤٧ .

(٣) الطبري ج ١ ص ٢٣٤٨ ، ٣٢٠٧ وج ٢ ص ٨١١ .

(٤) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٥) الطبري ج ١ ص ١١٨٥ .

(٦) الطبري ج ١ ص ١١٥٤ .

(٧) انظر ابن هشام ج ٢ ص ٥١ عن خبر المستهزئين بالرسول .

(٨) الطبري ج ١ ص ١٢٨٨ .

ويورد عروة بعض الشعر في رواياته على لسان المشتركين في الحوادث، وإن قل ذلك، مثل ما قاله ورقة بن نوفل حين رأى بلالاً يعذب في الرمضاء[1]، ومثل ما قاله أبو بكر وبلال حين اشتدت بهما الحمى بعد الهجرة[2]. ويبدو أن هذا كان طبيعياً في بيئة المدينة إذ إن الشعر عنصر أساسيّ في الثقافة وفي الأخبار. هذا وقد قال أبو الزناد في عروة: «ما رأيت أروى للشعر من عروة»[3].

وأسلوب عروة واضح مباشر في حيوية وسلاسة، بعيد عن المبالغة أو محاولة التأثير. وهو يمهد أحياناً للحادثة بمقدمة تضعها في موضعها التاريخي وتجعل الحديث متسلسلاً متصلاً، كما نرى في حديثه عن وقعة بدر حين يمهد بالإشارة إلى بداية الحرب بين المسلمين وقريش[4]، وكما نرى في حديثه عن الهجرة إلى الحبشة حين يمهد بذكر تطور العلاقة بين المسلمين وقريش منذ بداية الدعوة[5]، كما أنه يمهد في حديثه عن الهجرة إلى المدينة[6]. ويسترعي انتباهنا اتصال حديثه بحيويته وسلاسته دون تقطع في رسائله المكتوبة.

مما مر نلاحظ أن الدراسات التاريخية بدأت متصلة بدراسة الحديث، بل إنها فرع منها، وإن أسلوب الرواية هو أسلوب الحديث شكلاً ومبنى، ويمكننا القول

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٥ [دار الكتب].

(٢) البلاذري - فتوح ص ٢٥.

(٣) الذهبي - تراجم ص ٤٦. وحين قيل لعروة ما أرواك يا أبا عبدالله قال: «ما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً».

(٤) الطبري ج ١ ص ١٢٨٤.

(٥) الطبري ج ١ ص ١١٨٠-١١٨١.

(٦) الطبري ج ١ ص ١٢٢٤ - ١٢٢٥.

أن عروة قدم لنا صورة حية واقعية ودون مبالغة، لما تعرض له المسلمون وما أنجزوه. ويبدو أن الفكرة التاريخية وراء هذه الدراسة هي عرض الظروف والأحداث التاريخية الهامة في حياة الرسول والمسلمين الأولين، وفيها إشعار بأهمية السيرة وبأهمية تجارب الأمة. كما إننا نحس من أسئلة البلاط الأموي أن الاهتمام بالمغازي لم يقتصر على طلبة العلم بل إنه يعبر عن رغبة اجتماعية وثقافية.

إن مجهود عروة مجهود خطير إذ جعل للدراسة التاريخية بداية قائمة بذاتها حين جمع الكثير من الأحاديث التاريخية في المغازي ورسم بعض الأسس لهذه الدراسة وعبر عن فكرة تاريخية لها أثرها. ومن المنتظر أن لا يتضح منهج الدراسة التاريخية أو هيكلها في هذه البداية، ولكن ما بدأه عروة أتمه الزهري بصورة تسترعي الانتباه.

-٢-

إن الدور الأول في نشأة مدرسة التاريخ يعود لأبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، إذ إنه وضعها على أسس راسخة ورسم وجهة الدراسة التاريخية فيها. ولذا فدراسته مهمة من هذه الناحية، كما أنها مهمة من ناحية أخرى إذ إنها تمكننا من تقرير فيما إذا كانت أصول «المغازي» ترجع إلى القصص الشعبي كما يرى البعض[1] أو إنها ترجع إلى الدراسات الجدية التي قام بها المحدِّثون وتلامذتهم.

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة «سيرة».

يكاد تاريخ وفاة الزهري يكون أكيداً، إذ تتواتر الروايات على أنه كان في ١٧ رمضان ١٢٤هـ/ ٧٤٢م[١] . أما تاريخ ولادته فهو موضع خلاف كما ينتظر، إذ ورد في ٥٠هـ ، ٥١هـ، ٥٦هـ، ٥٨هـ حسب الروايات المختلفة[٢] . ولكن الزبير بن بكار[٣] والواقدي - في رواية له-[٤] يذكران أنه عاش ٧٢سنة وهذا يقرب احتمال ولادته سنة ٥١هـ/ ٦٧١م[٥] .

درس الزهري على أعلام المحدثين، وهو يضع أربعة منهم في منزلة خاصة من الاحترام والتقدير ويكثر الأخذ عنهم وهم: سعيد بن المسيب[٦] ، وأبان بن عثمان[٧] وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة[٧] وعروة بن الزبير. وكان يراهم

---

(١) البخاري - التاريخ الكبير ج ١ ق١ ص ٢٢١؛ ابن قتيبة - المعارف ص ٢٣٩؛ اليافعي - مرآة الجنان ج ١ ص ٢٦٠؛ ابن الجوزي - صفوة الصفوة ج ٢ ص ٧٩، الذهبي في *ZDMG XLIV* سنة ١٨٩٠ ص ٤٣٥ . يعطي كل من الذهبي في «تراجم رجال» [نشرة فيشر] ص ٧٣ وابن كثير - البداية ج١ ص ٤٣٤ تواريخ أخرى وهي سنة ١٢٣هـ و ١٢٥هـ ولكنهما يؤيدان سنة ١٢٤هـ . وانظر الأغاني ج ٦ ص ١٠٦ .

(٢) الذهبي - تراجم رجال ص ٧٣؛ ابن الجوزي - صفوة ج٢ ص ٧٩؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص٧٤٤ [الواقدي يجعلها سنة ٥٨] ؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٠٢؛ ابن خلكان - وفيات (القاهرة ١٣١٠) ج ١ ص ٤٥٢ .

(٣) ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٤ .

(٤) الذهبي في *ZDMG* ص ٤٣٥ .

(٥) انظر عن الزهري - معلومات عامة، ابن سعد - الطبقات ج ٤ ق١ ص ٩٢ (ليدن) وج ٥ ص ١٥٨، وابن الأثير - الكامل (ليدن) ج٢ ص ١١٩، وابن خلكان - وفيات ج١ ص ٤٥١، وابن قتيبة ص ٢٣٩، والذهبي - تراجم ص ٧١، والذهبي - تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٠٥، وأبو نعيم - حلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، وابن كثير - البداية ج٩ ص ٣٤٢ وابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٨ .

(٦) حضر مجلسه بين ٦ - ١٠ سنوات . الذهبي - تراجم ص ٦٧ .

(٧) انظر البخاري - التاريخ ج ١ ق ١ ص ٤٥١ .

«أربعة بحور» للعلم[1] . ويروى انه وعى علمهم وأضاف دراسات إلى ذلك[2].

واشتهر الزهري بقوة الذاكرة، وهي مهمة جداً في عصره، وحاول أن يقويها بتناول شراب العسل[3] . ويهمنا أكثر من ذلك اهتمام الزهري بتدوين ملاحظاته وما يسمع من أحاديث على «الألواح» و«الصحف» ليعين ذاكرته. وقد انتبه معاصروه لهذه الناحية عنده واعتبروا كتابته سبباً أساسياً في تفوقه على أهل زمانه في العلم. وقد جاء في رواية أنه كان يكتب كل ما يسمع، وجاء في رواية أخرى أنه كان يكتب «سنن» الرسول و «ما جاء عن أصحابه»[4] .

اعتمد الزهري في «المغازي» على عروة بن الزبير بالدرجة الأولى. ودرس معه كما يبدو فترة غير قصيرة وكان ينظر إليه باحترام خاص ويراه «بحراً لا ينزف»[5] . ويشير البخاري إلى تأليف الزهري في المغازي بقوله «حدثنا . . . موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: هذه مغازي رسول الله، فذكر الحديث»[6]. وذكر السخاوي أن الزهري روى المغازي عن عروة[7] . وتحدث

---

(١) انظر الأغاني (ط. الساسي) ج ٨ ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) نفس المصدر ج ٨ ص ٩٢، ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ٦٥ .

(٣) الذهبي - تراجم ص ٦٩؛ انظر ابن قتيبة - المعارف ص ٢٦٠؛ البخاري - التاريخ ج ١ ق١ ص ٢٢١، ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٧-٧٨ .

(٤) السمعاني - الأنساب ص ٢٨١؛ الذهبي - تراجم ص ٦٨؛ ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ٦٨؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٢٤٢ .

(٥) البخاري - التاريخ ج ٤ ص ٣٢؛ أبو نعيم الإصفهاني - حلية ج ٣ ص ٣٦٠؛ ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ٦٥؛ الذهبي - تراجم ص ٤٥ .

(٦) البخاري - الصحيح (بولاق) ج ٥ ص ١٤ .

(٧) السخاوي - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٨٨، وانظر ابن سيد الناس - عيون الأثر ج ١ ص ٨١ .

حاجي خليفة عن مغازي الزهري فقال: «ومنها (أي المصنفات في المغازي) مغازي محمد بن مسلم الزهري»[1]. هذا وروايات عروة هي المصدر الأول للزهري فيما وصلنا من مغازيه. وبجنب عروة يكثر الزهري من الرواية عن سعيد بن المسيب[2]، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة[3]، كما أنه يروي عن آخرين كثيرين[4].

ويظهر أن الزهري قام ببحث واسع في المدينة عن أحاديث الرسول وأصحابه وساعده في ذلك مكانته الاجتماعية وذاكرته القوية واستعانته بالكتابة، ولم يقصر دراسته وسؤاله على المحدثين بل سأل كل من يمكن أن يكون عنده حديث أو خبر ويصح الوثوق به، فكان يغشى المجالس ويزور الأشخاص في دورهم لهذا الغرض. يقول الذهبي: «قال إبراهيم بن سعد: قلت لأبي بم فاتكم الزهري؟ قال كان يأتي المجالس من صدورها ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقى

---

(١) حاجي خليفة - كشف الظنون (اسطنبول) ج ٢ ص ١٧٤٧ .

(٢) الواقدي - المغازي [النص الكامل وهو غير مطبوع وقد حققه الأستاذ جونز على نسخة المتحف البريطاني] ص ١٥١، ٢١٩، ٤٢١، ٤٣٦، ٥٦٢، ٨٢٨، ٨٦٩، ١٠٢٥؛ البلاذري -أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٥، ٢٦، ، ٦٧ ، ٩٧ ؛ الطبري ج ١ ص ١٨١٥ .

(٣) الواقدي - المغازي (المخطوط) ص ٣٨٣، ٥١٩، ٦٥٧، ٨١٦؛ الطبري ج ١ ص ١٨٣٤ .

(٤) مثل ابن كعب بن مالك [الواقدي، المخطوط ص ١٦٢، ٢٠٨؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٣١] وانس بن مالك [الطبري ج ١ ص ١٨٢٩] ، ومحمد بن جبير بن مطعم [الواقدي ، المخطوط ص٣٨١؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٣٠] وابن عباس [الطبري ج١ ص ١٥٦٩؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٤٥] وعبدالله بن عمرو بن العاص [ابن هشام، ن. وستنفلد ص ٤١٢]، وابن سلمة بن عبدالرحمن بن عوف [الطبري ج ١ ص ١٠١٩؛ الواقدي - المخطوط ص ٧٥٤؛ ابن سيد الناس ج١ ص ١٤٢] مالك بن أوس الحدثان [الواقدي - المخطوط، ص ٢٤٩، ٣٦٣] .

في المجلس شاباً إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقي شاباً ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة إلا ساءلهم حتى يحاول ربات الحجال»[1].

ولسنا بصدد بحث منزلته الكبيرة كمحدث وفقيه[2]، بل سنقصر بحثنا على آثاره كمورخ. ويكفي أن نذكر بعض ما قيل عنه، فقد «حفظ علم الفقهاء السبعة»، وانه «ما له في الناس نظير» كما قال مالك بن أنس، وإنه «لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه» كما قال عمر بن عبدالعزيز، وأنه جمع من العلم ما لم يجمعه أحد قبله كما روى إبراهيم بن سعد عن أبيه، و«إنه أعلم الناس» كما قال عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه[3]. وهذا يدل على علو شأنه وأثره.

لقد لخص الطبري دور الزهري المؤرخ بقوله «كان محمد بن مسلم الزهري مقدماً في العلم بمغازي رسول الله ﷺ وأخبار قريش والأنصار، رواية لأخبار رسول الله ﷺ وأصحابه»[4]. وسنتناول دراساته التاريخية مبتدئين بالمغازي.

يبدو أن دراسات الزهري تناولت حياة الرسول، فابتدأت ببعض الحوادث السابقة للإسلام وبعضها يتصل بالرسول، ثم حياة الرسول في مكة وبعدها في

---

(١) الذهبي - تراجم ص ٦٩.

(٢) ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٧ - ٧٨؛ أبو نعيم - حلية ج ٣ ص ٣٦٠-٣٦١؛ الذهبي - تراجم ص ٦٨، ٧٠ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٤، ١٠٥؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٢، ٣٤٣؛ هوروفتس - المغازي الأول ومؤلفوها - تعريب حسين نصار.

(٣) انظر البخاري - التاريخ الكبير ق١ ج١ ص ٦٢١؛ ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٧؛ الذهبي تراجم ص ٦٨، ٧٢؛ اليافعي - مرآة ص ٢٦١؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٢.

(٤) الطبري - المنتخب من كتاب ذيل المذيل ص ٩٧ (المطبعة الحسينية).

المدينة. ويذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) أن حجاج بن أبي منيع (ت بعد ٢١٦هـ/ ٨٣١م) روى المغازي عن الزهري[١] ويؤيده حاجي خليفة في أن الزهري وضع كتاباً في المغازي[٢]. وقد استعمل الزهرى تعبير «السيرة»[٣] كما استعمل تعبير «المغازي»[٤] إلا أن التعبير الأول لا يرد عنواناً لمؤلفه.

وليس لدينا من «مغازي» الزهري إلا مقتطفات وردت بالدرجة الأولى في ابن إسحق والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس. وفيما يلي محاولة لوضع هذه المقتطفات في إطارها التاريخي لنحصل على هيكل تقريبي لهذه المغازي.

١ - قبل الإسلام -

(١) يوم خلق آدم (الجمعة)، ويوم دخوله الجنة ويوم إخراجه منها. رواية عن التواريخ من هبوط آدم إلى الأرض حتى مبعث الرسول[٥].

(٢) ذكر نوح وانتشار أبنائه وذريته في الأرض وتوزيعها بينهم[٦].

(٣) تقويم أبناء إسماعيل أو العرب ابتداء من نار إبراهيم إلى عام الفيل، وأخيراً التقويم الهجري[٧].

---

(١) السخاوي - الإعلان ص ٨٨.

(٢) حاجي خليفة - كشف الظنون (اسطنبول) ج ٢ ص ١٧٤٧.

(٣) الاغاني (ط. الساسي) ج ١٩ ص ٥٩.

(٤) الطبري - المنتخب ص ٩٧.

(٥) الطبري ج ١ ص ١١٢.

(٦) نفس المصدر ج ١ ص ٢٠٠-٢٠١.

(٧) نفس المصدر ج ١ ص ١٢٥٣.

(٤) أخبار عن بعض الأنبياء[١] ، ومناداة الله لموسى وذكره محمداً وأمته له[٢] . موسى والخضر[٣] . مرض أيوب[٤] .

خبر نذر إبراهيم (عن كعب الأحبار) بتضحية ابنه إسحق ومحاولة الشيطان أن يفسد ذلك[٥] .

وهذه القطع تظهر اهتمام الزهري بأخبار الأنبياء الماضين . ولا ندري إن كانت جزءا من مغازي ، إن كنا نستبعد ذلك .

(٥) بعض الروايات عن آمنة بنت وهب حين علقت بالرسول[٦] . وفاة عبدالله بن عبدالمطلب عند أخواله في يثرب[٧] .

(٦) يذكر السخاوي[٨] وإن يونس بن يزيد (ت ١٥٩هـ / ٧٧٥م) روى عن الزهري مشاهد النبي ؛ أو الأحداث التي شهدها النبي قبل الإسلام مثل بناء للكعبة وحلف الفضول . وقد نفي الزهري حضور محمد بن عبدالله حرب الفجار[٩] ، وهذه الرواية بذاتها تؤيد ما ذكره السخاوي .

---

(١) أبو نعيم - حلية ج ٣ ص ٣٧٢ ؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٨ .
(٢) أبو نعيم - حلية ج ٣ ص ٣٧٥ .
(٣) البخاري - الصحيح ج ١ ص ٢٧ ؛ الطبري ج ١ ص ٤١٩ .
(٤) أبو نعيم - حلية ج ٣ ص ٣٧٤ .
(٥) الطبري ج ١ ص ٢٩٣ .
(٦) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٥ .
(٧) نفس المصدر ، وابن الأثير ج ٢ ص ٦ .
(٨) السخاوي - الإعلان ص ٨٨ .
(٩) ابن الأثير (ليدن) ج ١ ص ٤٤٣ .

(٧) خديجة بنت خويلد تتفق مع محمد بن عبدالله ليرأس قافلتها إلى الشام. زواجه من خديجة وعمره آنذاك[١].

(٨) ويورد الزهري روايات عن دلائل نبوة الرسول منها خبر ملاك ينذر كسرى[٢]، وكاهن يروي إنذاراً من صاحبه عن نهاية الوثنية، كما ينسب إلى عمر بن الخطاب خبراً عن إحدى هذه الخوارق[٣].

٢ - دور الرسالة.

أ - الفترة المكية :

(١) بدء نزول الوحي - [البدايات - الرؤيا الصادقة، التحنث في الخلوة، ونزول الوحي] واضطراب الرسول ورجوعه إلى خديجة وذهابها به إلى ورقة بن نوفل وحديث ورقة. كيف أدرك الرسول لأول مرة أن الله اختاره لرسالته[٤]. أول الآيات نزولاً وآخرها[٥]. انقطاع الوحي فترة وقلق الرسول لذلك[٦]. أول المسلمين[٧].

---

(١) ابن سيد الناس ج ١ ص ٤٧ ، ٥٠ ، الطبري ج ١ ص ١١٥٤ .

(٢) الطبري ج ١ ص ١٠١٤ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١١٤٥ .

(٤) الطبري ق١ ص ١١٤٧-١١٤٨، ١١٥٤ ؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٨٤-٨٥؛ ابن هشام (القاهرة) ج١ص ٢٤٩ ؛ البخاري - الصحيح (بولاق) ج ١ ص ١١٥ .

(٥) الفهرست لابن النديم (ن. فلوجل) ص ٢٥ ؛ ابن سيد الناس ج١ ص ٨٨؛ الطبري ج ١ ص ١١٥٥ .

(٦) الطبري ج ١ ص ١١٥٥ ؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٨٥ .

(٧) الطبري ج ١ ص ١١٦٧ ؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٩١ .

(٢) فكرة عن نظرة قريش إلى دعوة الرسول وفعالياته[١] . الرسول يحاول نشر الدعوة بين قبائل أخرى، مثل كندة وبني عامر بن صعصعة خلال المواسم وعدم نجاح هذه المحاولة[٢] .

(٣) الإسراء والمعراج[٣] .

(٤) الهجرة إلى الحبشة . أول من هاجر . موقف النجاشي من المسلمين . قريش ترسل وفداً ليقنع النجاشي بالتخلي عن المسلمين وفشل الوفد . تفاصيل أخرى عن النجاشي[٤] .

(٥) مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبدالمطلب (الزهري ضمن إسناد جمعي)[٥] . وفاة أبي طالب[٦] .

(٦) بيعة العقبة - نص البيعة، وبداية الإسلام في المدينة[٧] .

ب - الفترة المدنية -

(١) حديث الهجرة إلى المدينة وحادثة سراقة بن جشم[٨] . المسلمون

---

(١) ابن هشام ص ٢٠٣ ، انظر ابن سيد الناس ج١ ص ١١١-١١٢ .

(٢) ابن هشام ص ٢٨٢، ٢٨٣؛ الطبري ج ١ ص ١٢٠٥-١٢٠٦ ، ١٢١٣ .

(٣) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨؛ البخاري - الصحيح (بولاق) ج ٤ ص ٩٩، ١١٦، ١٣٠، وابن هشام ج ٢ ص ٤١ .

(٤) ابن هشام ص ٢١٧-٢٢٢، ٢٢٢-٢٢٣؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١١٥، ١٢٦، ٢٩٢ .

(٥) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٢٦-١٢٧ . (٦) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٣١-١٣٢ .

(٧) الطبري ج ١ ص ١٢١٣؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١٥٧-١٥٨ ؛ البخاري - الصحيح ج٤ ص ٢٤٣ .

(٨) ابن هشام - السيرة ص ٢٣١-٢٣٢ .

ينتظرون الرسول، ظروف وصول الرسول، وتاريخه . بناء مسجد المدينة[١] . أثر جو المدينة على المهاجرين وإصابة بعضهم بالحمى[٢] .

(٢) سرية عبدالله بن جحش . عدد وهوية المشاركين فيها[٣] . نظرة الرسول إلى الهجوم على القافلة[٤] .

(٣) بعض ا لمعلومات عن نظرة اليهود إلى الرسول[٥] . موقف عبدالله بن أبي (خشن وعدائي)[٦] . تحويل القبلة إلى الكعبة[٧] . فرض الصيام وتاريخه، وفرض زكاة الفطر[٨] .

(٤) غزوة بدر- رواية الزهري جاءت ضمن إسناد جمعي[٩] . تفاصيل أخرى تتصل ببدر - رؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب عن القافلة القرشية[١٠] . إماء بن رحضة يعرض على قريش تقديم عشرة جمال، ويبدي استعداده لمساعدات أخرى . عمير بن وهيب، من عيون قريش، يتحدث عن نظام المسلمين وينصح قريشاً بالرجوع عن القتال

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٢٥٠ ، ١٢٥٦ ؛ ابن سيد الناس ج١ ص ١٨٥-١٨٦ ؛ انظر البخاري - الصحيح ج ٤ ص ٢٤٥-٢٤٦، ٢٥٦-٢٥٨، وج ٥ ص ٤٣ .

(٢) ابن هشام ص ٤١٧ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٧٣ .

(٤) الواقدي (ط . القاهرة)ص ١٠ ؛ ابن سيد الناسج ١ ص ٢٢٩ .

(٥) ابن هشام ص ٣٩٣-٣٩٤ .

(٦) ابن هشام ص ٥١٩ .

(٧) ابن سيد الناس ج١ ص ٢٢١ ، ٢٣٦ .

(٨) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٣٩ .

(٩) الطبري ج ١ ص ١٢٩١ وبعدها؛ الأغاني (دار الكتب)ج٤ ص ١٧٠ .

(١٠) الطبري ج ١ ص ١٢١٢ .

ويؤيده عتبة بن ربيعة ولكن أبا جهل يتدخل فترفض النصيحة وتبدأ المقابلة مع المسلمين. دعوة أبي جهل حين يرى المسلمين. الرسول يرى قريشاً مقبلة، صلاته ودعاؤه على قريش[1]. تفاصيل اخرى[2]، منها ذكر أول شهيد من المسلمين وأول شهيد من كل جماعة من المسلمين. الرسول يفحص ساحة القتال. عدد من استشهد من المسلمين وعدد من أسر وقتل من قريش. وقت جلب أسرى قريش، وميل الرسول إلى معاملتهم بلطف[3].

(٥) غزوة السويق وتاريخها[4].

(٦) تدهور العلاقات مع اليهود وحصول نزاع معهم. الأوس تقتل كعب بن الأشرف[5]. تنافس الأوس والخزرج في مرضاة الرسول، وقتل الخزرج لابن الحقيق اليهودي[6]. رعب اليهود ووضع «الكتاب» المشهور[7].

(٧) غزوة بني قينقاع على إثر نزول الآية ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾. تفاصيل عن الغزوة وتاريخها ومعاملة بني

---

(١) نفس المصدر (ط. القاهرة) ص ٤٣، ٤٥-٤٦، ٥٠ والمخطوط ٥٢-٥٣، ٥٦-٥٧، ١٣١؛ الطبري ج ١ ص ١٣٢٢-١٣٢٣.

(٢) الواقدي (ط. القاهرة) ص ٦٢، ٨٢؛ المخطوط ص ١٠١.

(٣) نفس المصدر (ط. القاهرة) ص ٨٩، ١٠٩، ١١٠-١١١؛ المخطوط ص ١٠٧-١٠٨.

(٤) نفس المصدر (ط. القاهرة) ص ١٤٢؛ المخطوط ص ١٢٥٩-١٦٠.

(٥) نفس المصدر (ط. القاهرة) ص ١٤٤-١٤٥؛ المخطوط ص ١٦٢.

(٦) الطبري ج ١ ص ١٣٧٨-١٣٧٩.

(٧) الواقدي (ط. القاهرة)ص ١٥١.

قينقاع[1] .

(٨) غزوات أخرى - غزوة قرارة الكدر ضد بني سليم وغطفان بعد الهجرة بـ ٢٢ شهراً[2] . إرسال سرية ضد بني سليم في البحرين، بعد الهجرة بـ ٢٧ شهراً[3] .

(٩) معركة أحد - [رواية الزهري ضمن إسناد جمعي][4] . مشاورات المسلمين حول البقاء في المدينة أو الخروج للقاء قريش[5] . رأي عبدالله بن أبي سلول (ابن أبي)[6] . انسحاب المنافقين وعدد المسلمين . القتال انتشار إشاعة مقتل الرسول، ثم يرى أحد المسلمين الرسول بعد المعركة[7] . أُبي بن خلف من قريش يحاول قتل الرسول ولكن الرسول يبتدره ويقضي عليه[8] . تفاصيل عن استشهاد حمزة ابن عبدالمطلب[9] . الرسول يفحص ساحة القتال[10] .

---

(١) الواقدي (ط . مصر) ص ١٣٩-١٤١ والمخطوط ص ١٥٦-١٥٨ ؛ الطبري ج ١ ص ١٣٦٠ .

(٢) الواقدي (ط . مصر) ص ١٤٣ والمخطوط ١٢٤ .

(٣) الواقدي ص ١٥٩ .

(٤) الواقدي (المخطوط) ص ١٨٥ ؛ الطبري ج١ ص ١٣٨٤ وما بعدها ؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٢ وما بعدها .

(٥) الواقدي ص ١٦٤-١٦٨ والمخطوط ص ١٨٥-١٨٦ .

(٦) ابن هشام ص ٥٩١ .

(٧) الواقدي ص ١٨٤-١٨٥ والمخطوط ص ٢٠٨ ؛ الطبري ج١ ص ١٤٠٦ ؛ وابن سيد الناس ج٢ ص ١١-١٢، ٥ .

(٨) الواقدي ص ١٨٤-١٨٦ والمخطوط ص ٢١٩ ؛ الطبري ج١ ص ١٤٠٦-١٤٠٧ .

(٩) الواقدي (ط . مصر) ص ٢١٢ .

(١٠) ابن هشام ص ٥٧٦ ؛ الواقدي ص ٢٣٩ ؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢١ .

(١٠) إخراج بني النضير، وهم قبيلة يهودية، من المدينة - ظروف ذلك وتاريخه والشروط التي تم بموجبها. أموال بني النضير ونوعها. الرسول يقسم ما غنم منهم بين المسلمين[١].

(١١) غزوة الخندق - [رواية الزهري ضمن إسناد جمعي][٢]. صعوبة وضع المسلمين. الرسول يفاوض بعض الجماعات المحاصرة للمدينة، وجهة نظر الأنصار ضد أية مساومة. المحاولة القرشية الوحيدة لاختراق خط دفاع المدينة وفشلها[٣]. الرسول يتخذ من مؤامرة بني قريضة ضد المسلمين وسيلة لإثارة الشكوك بين أعدائه، العواصف ونهاية الحصار[٤].

(١٢) الهجوم على بني قريظة (القبيلة اليهودية الثالثة في المدينة) بعد الخندق مباشرة[٥]، والشروط التي أخضعوا لها[٦]. تفاصيل أخرى[٧].

(١٣) إرسال سرية ضد بني لحيان - [الزهري في إسناد جمعي][٨].

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٤٥١؛ البلاذري - فتوح البلدان ص ١٨-٢٠، ٢١؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٤٨، ٥٠-٥١؛ الواقدي (المخطوط) ص ١٥٨ وما بعدها، ٣٣١-٣٣٢؛ يحيى بن آدم - الخراج ص٣٣.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٤٦٢؛ الواقدي (المخطوط) ٣٨٧ وما بعدها؛ ابن سيد الناس ص ٥٨ وما بعدها.

(٣) الطبري ج ١ ص ١٤٧٣؛ الواقدي (المخطوط) ص ٤٢١-٤٢٤.

(٤) الواقدي (المخطوط) ص ٤٣١-٤٣٢، ٤٣٦؛ وانظر الطبري ج١ ص ١٤٧٥-١٤٧٦.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٤٨٥؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٦٨.

(٦) البلاذري - فتوح ص ٢٨٣.

(٧) ابن سيد الناس ج ٢ ص ٧٤.

(٨) الواقدي (المخطوط) ص ٤٨٠-٤٨١.

(١٤) حديث الإفك[١] .

(١٥) سرية زيد بن حارثة على أم قرفة[٢] .

(١٦) صلح الحديبية - أهداف الرسول، وعدد المسلمين الذين خرجوا من المدينة معه (وعدد جمال الأضاحي)[٣] . الرسول يعين طريق المسيرة، وقوف المسلمين عند الحديبية. الرسول يبدي رغبة في مسالمة قريش. رد الفعل في قريش ووجهة نظرها. خزاعة علاقتها ودية مع المسلمين وتنقل وجهة نظرهم إلى قريش[٤] . سير الرسل وجلهم من جهة قريش بين الطرفين، وانطباعاتهم عن المسلمين. الرسول يتكلم بلهجة دبلوماسية ويؤكد نياته الطيبة ويقترح الهدنة. مجيء سهيل بن عمرو أخيراً ليفاوض عن قريش، النقاش حول بعض الكلمات، النص النهائي للصلح وأسماء الشهود. تفاصيل أخرى، منها تردد بعض الصحابة في نحر الضحايا في الحديبية. تعليق الزهري على أهمية صلح الحديبية ونتائجة[٥] .

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٥١٧ وما بعدها؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٣٨٧ وما بعدها؛ البخاري - الصحيح ج٥ ص ٥٤، ٥٥-٥٦ .

(٢) الواقدي (المخطوط) ص ٥٠٨؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١٥٢٩؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١١٣؛ ابن هشام (القاهرة) ج٣ ص ٣٢٢ .

(٤) الطبري ج١ ص ١٥٣١، ١٥٣٧؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١١٥؛ الواقدي (المخطوط) ص ٥١٩، ٥٢٩-٥٣٠؛ ابن هشام (القاهرة) ج٣ ص ٣٢٤-٣٢٥ .

(٥) الطبري ج١ ص ١٥٤٩-١٥٥٠؛ ابن هشام ص ٧٤٠-٧٤٦، ٧٤٧-٧٤٩؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١١٥-١١٩؛ الواقدي (المخطوط) ٥٦٥-٥٧٠، ٥٧٢-٥٧٣؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١٢١، ١٢٢ .

(١٧) فتح خيبر - ظروف ذلك وتاريخ الفتح. الاتفاق مع خيبر، ودلائله الفقهية، ووجهة نظر أبي بكر وعمر في ذلك[١]. حادث في الطريق إلى خيبر[٢]. معاملة فدك. غزوة مؤتة[٣]. غزوات صغيرة[٤].

(١٨) فتح مكة - يبيّن الزهري دور خزاعة كحلفاء وعيون للرسول[٥]، تحالفهم مع الرسول بعد الحديبية، اعتداء بكر وقريش حليفتها على خزاعة يكون السبب المباشر للحملة[٦]. أبو سفيان يذهب إلى المدينة ليفاوض ويفشل. استعدادات الرسول للحملة[٧]. الرسول يترك نائباً عنه في المدينة ويقود الحملة. تاريخ الحملة وعدد الجيش ودخول الرسول مكة منتصراً[٨]. مسح الصور الموجودة داخل الكعبة وقرارات أخرى. مدة مكث المسلمين في مكة بعد الفتح[٩].

(١٩) غزوات تالية - غزوة هوازن. ثقة المسلمين بكثرة عددهم. (قصة

---

(١) ابن هشام ص ٧٧٩؛ الواقدي (المخطوط) ٦٣٤، ٦٥٧؛ البلاذري - فتوح ص٢٧؛ ابن سيد الناس ج٣ ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٥٧٥.

(٣) ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٣٨؛ البلاذري - فتوح ص ٥٩؛ ابن هشام (القاهرة) ج٤ ص ٢٥.

(٤) غزوة القضية، الواقدي (المخطوط) ص ٦٧٠ وما بعدها [الزهري في إسناد جمعي]. سرية أبي العوجاء السلمي، نفس المصدر ص ٦٨٠. وكانت هاتان السريتان في سنة ٧ هـ. سرية إلى ذات أطلاء (سنة٨هـ)، ابن سيد الناس ج٢ ص ١٥٢.

(٥) ابن هشام ص ٧٤٧ - ٧٤٩.

(٦) الطبري ج١ ص ١٦٢٠؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١٢٠.

(٧) الواقدي (المخطوط) ص ٧٣١.

(٨) الطبري ج ١ ص ١٦٢٨؛ ابن هشام ص ٨١٠؛ البخاري- الصحيح ج٥ ص٩٠؛ الواقدي (المخطوط) يعطي تاريخ الفتح ص ٨١٨.

(٩) الطبري ج١ ص ١٥٦٥-١٥٦٦؛ الواقدي (المخطوط) ص ٧٦٦، ٧٩٥ انظر ص ٧٦٥-٧٦٦.

«ذات أنواط»[١] . تضعضع المسلمين في المعركة، نداء الرسول للأنصار واستجابتهم، الفترة الحرجة في القتال ودعاء الرسول، النصر[٢] . توزيع الغنائم ورد السبي[٣] . الحملة على تبوك -[الزهري في إسناد جمعي][٤] . تفاصيل منفردة[٥] . فرض الجزية على (إيلة) و(أذرح) و(أذرعات)[٦] . و(تبالة) و(جرش)[٧] . حملة على (دومة الجندل) وفرض الجزية عليها[٨] .

(٢٠) رسائل وسفارات - زيارة وفد كندة[٩] . الرسول يرسل كتاباً إلى هرقل مع دحية الكلبي، وتفاصيل الموضوع. ويعطي الزهري أيضاً قصة رؤيا هرقل وميله للإسلام سراً ويشير إلى أسقف لتأييد ذلك[١٠] . الرسول يرسل رسالة إلى كسرى فيمزقها، تعليق الرسول على الخبر[١١] . كسرى يطلب إلى باذان حاكم اليمن أن يشير إلى

---

(١) ابن هشام ص ٨٤٤؛ الواقدي (المخطوط) ٨١٨، ٨١٩؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١٩١-١٩٢ .

(٢) الطبري ج١ ص ١٦٦١، ١٦٦٢؛ الواقدي (المخطوط) ص ٨٢٦-٨٢٧، ٨٢٨-٨٢٩؛ ابن سيد الناس ج١ ص ١٩١ .

(٣) الواقدي (المخطوط) ص ٨٦٩-٨٧٠ .

(٤) الطبري ج ١ ص ١٦٩٢ وانظر البخاري ج ٤ ص ٩٩-١٠١، ١٠٤-١٠٥ .

(٥) ابن هشام ص ٧٩٨؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٢١٨ .

(٦) البلاذري - فتوح ص ٦٨ .

(٧) البلاذري - فتوح ص ٥٩ .

(٨) البلاذري - فتوح ص ٦٣ .

(٩) الطبري ج ١ ص ١٧٣٩ .

(١٠) الطبري ج١ ص ١٥٦٥-١٥٦٦؛ البخاري ج ٤ ص ٢-٤ .

(١١) الطبري ج١ ص ١٥٧٢ .

الرسول وتنتهي المراسلة بدخوله ودخول الأبناء (الفرس) في الإسلام وذلك حين تحققت نبوءة الرسول عن نهاية كسرى[١] .

(٢١) بعض الاضطرابات . إرسال خالد بن الوليد ضد بني الحارث في نجران ودخولهم الإسلام[٢] . تميم ترفض دفع الصدقة، فيخضعها المسلمون، ويأتي وفدها إلى المدينة[٣] .

(٢٢) تفاصيل خاصة بالرسول - إشارات إلى أزواجه[٤] ، وتوضيح بعض أسمائه[٥] .

(٢٣) إشارة إلى حجة الوداع وبعض المعلومات عنها[٦] . إعداد حملة أسامة بن زيد[٧] .

(٢٤) المرض الأخير للرسول . الرسول يحس بأن أجله قريب ويلمح إلى ذلك في خطاب من المنبر، ويؤكد على إرسال حملة أسامة . العباس يطلب إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن يصحبه ليسألا الرسول عمن يخلفه وعدم موافقة علي . تفاصيل أخرى[٨] . الرسول

---

(١) ابن هشام (القاهرة) ج١ ص ٧٩ .

(٢) ابن سيد الناس ج٢ ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٣) الواقدي (المخطوط) ص ٨٩٦-٩٠٣ .

(٤) الطبري ج١ ص ١٧٧٦ ؛ البخاري - صحيح ج٥ ص ١٧ .

(٥) الطبري ج١ ص ١٧٨٨ ؛ انظر ابن سيد الناس ج١ ص ٣٠ ؛ البخاري ج٤ ص ١٦٢ .

(٦) الواقدي (المخطوط) ص ١٠٠١، ١٠٠٥ وما بعدها .

(٧) الواقدي (المخطوط) ص ١٠٢٥ .

(٨) الطبري ج١ ص ١٨٠٠، ١٨٠٩، ١٨١٠ ؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٣٣٦-٣٣٧ ؛ البخاري ج٤ ص ٤٥، وج ٥ ص ١٣٧، ١٣٩-١٤٠، ١٤٠-١٤١ .

يلقي نظرة على المسلمين في المسجد في آخر أيامه من الدنيا ويفوض إلى أبي بكر إمامة المسلمين في الصلاة[١] . آخر ما عهد به الرسول وانتقاله إلى دار الخلود، وتاريخ ذلك وعمره[٢] . أثر الوفاة. دفن جثمان الرسول الكريم[٣] .

من هذا العرض الموجز يتبين أن الزهري أعطى أول إطار واضح للسيرة، وأنه رسم خطوطها بجلاء فترك لمن بعده أن يكمل هذا الإطار في التفاصيل فقط. وخطته في المغازي (أو السيرة) تبدأ ببعض المواد المتصلة بحياة الرسول قبل بدء الرسالة، وربما أعطى نسبه ضمن ذلك[٤] . وبعد أن يشير إلى بعض الدلائل على مجيء النبوة ينتقل إلى بدء نزول الوحي. ثم يتناول فترة الرسالة فيذكر بعض النواحي الهامة في الفترة المكية، الهجرة، الغزوات والسرايا، وفعاليات أخرى مثل : السفارات والوفود وأخيراً مرض الرسول ووفاته.

ويبدو أن الزهري لاحظ بصورة عامة التسلسل التاريخي للحوادث. وأعطى بعض التواريخ مثل : تاريخ الهجرة، وربما تواريخ بدر وأحد والخندق (إذ ترد رواياته ضمن إسناد جمعي)، وتواريخ بعض الغزوات مثل قرارة الكدر وبني سليم وقينقاع وبني النضير وخيبر وفتح مكة، وتاريخ مجيء وفد كندة ووفاة الرسول[٥] . وهذا الاهتمام بالتواريخ ساعد على تثبيت إطار السيرة عند الزهري.

---

(١) الطبري ج١ ص ١٨١٣ ؛ ابن هشام ١٠١٠ .

(٢) الطبري ج ١ ص ١٨١٤ ، ١٨٣٤-٣٥؛ البخاري - تاريخ ج١ ق١ ص ٨ .

(٣) ابن هشام ج٤ ص ٣٠٥-٣٠٦؛ الطبري ق١ ص ١٨٣١ ؛ البخاري - الصحيح ج٤ ص ١٦٣ .

(٤) انظر الطبري ق١ ص ١١١٦ وانظر ص ٩٦ من هذا الكتاب .

(٥) انظر أعلاه ص ٨٥-٩٢ .

إن وجهة الزهري في الأساس هي وجهة محدث[١] . فقد كان همه أن يحصل على «العلم» أو الأحاديث وبضمنها الأحاديث التاريخية . وهو يرى أن العلم ضرورة اجتماعية ودينية ، إضافة إلى أنه من أعمال التقوى[٢] . وبالتالي فإنه يُكْسب صاحبه شرفاً ومنزلة اجتماعية سامية[٣] .

أما طريقته في تحقيق الأحاديث والروايات فتعتمد على الإسناد[٤] . وموقفه من الإسناد هو موقف محدث متين في عصره ، حيث يكتفي أحياناً برواية أحد التابعين ، وحيث يسمح بحرية أكثر في الأحاديث التاريخية . لكن الزهري سار خطوة مهمة حين اتخذ الإسناد الجمعي وذلك بجمع عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة يتقدمها رجال الأسانيد ، وهو بهذا خطا خطوة مهمة نحو الأخبار التاريخية المتصلة[٥] . وبعد هذا فالزهري يكثر من ذكر الآيات القرآنية التي تتصل بما يورد من أخبار[٦] . بل إن روايات الواقدي عن الزهري تظهر بجلاء أن دراسة القرآن- وهو حافل بالإشارات إلى شؤون المسلمين في المدينة- كانت عاملاً آخر في ظهور الدراسات التاريخية [٧] .

---

(١) انظر ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٣، والذهبي ZDMG 1890 ص ٤٣١ .

(٢) أورد الذهبي - تراجم ص ٧٢ قول الزهري «الاعتصام بالسنة نجاة» . قارن بابن هشام (القاهرة) ج١ ص ٧٩، ويقول الزهري «ما عبد الله بشيء أفضل من العلم» ص ٧٨ .

(٣) هناك قول ينسب إليه وإلى عروة وهو «تعلموا العلم تسودوا به قومكم» البخاري - التاريخ ج١ ص٣٢؛ والذهبي - تراجم ص ٤٥ .

(٤) قال عمرو بن دينار «ما رأيت انص للحديث من الزهري» الذهبي ZDMG 1890 ص ٤٣١ .

(٥) انظر الطبري ج١ ص ١٥١٧ ؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٩٦ .

(٦) انظر الواقدي (المخطوط) ص ١٥٦-١٥٧، ٥٦٢-٥٧٠ ؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ٩٦ وما بعدها ١٢١ .

(٧) انظر الواقدي (المخطوط) ص ٥٦٢-٥٧٠ ، ٥٧٢-٥٧٣ ؛ ابن سيد الناس ج١ ص ٢٢٢ .

ونستطيع أن نرى في روايات الزهري الفعاليات التي كانت بوحي إلهي والفعاليات البشرية العملية وخاصة في التفاصيل عن الغزوات[١] . ففكرة الجبر لم تكن هي الفكرة السائدة والواقع أن رأي الزهري في صلح الحديبية يتضمن تأييداً لعمل لم يلق ما يستحق من تأييد في حينه[٢] .

ويمكن القول إن روايات الزهري عامه تعطي معلومات واقعية متزنة عن الحوادث بأسلوب يتصف بالصراحة والبساطة والتركيز[٣] . وتقل فيها محاولات التفخيم أو المبالغة التي تكثر عند المؤرخين فيما بعد. ومع ذلك نحس ببوادر الاتجاه نحو التمجيد لديه[٤] .

ومعلومات الزهري التاريخية على العموم مستقاة من الأحاديث. أما القصص الشعبي فقد اعتبره مادة للتسلية أو المتعة[٥] .

ولكن يظهر أن مواد أخرى تسربت إلى أخباره التاريخية وإن كان ذلك لدرجة محدودة. ووجود هذه المواد يشعر بالبداية للتطورات التي ظهرت بعد عصر الزهري، فهناك شيء من أثر القصص في بعض الأماكن مثل الخبر عن نظرة هرقل للدين الجديد[٦] ، والإنذار الذي سمعه كسرى[٧] وقصة الكاهن الذي أنذره الشيطان[٨]. كما أن اهتمام الزهري بأخبار الأنبياء الماضين وبأهل

---

(١) الطبري ق١ ص ١٤٧٣ ؛ الواقدي (المخطوط) ٤٢١-٤٢٢ .

(٢) الطبري ج١ ص ١٥٩٤ .

(٣) انظر ابن هشام ص ٨٩٤ عن «ذات أنواط» .

(٤) انظر الطبري ج١ ص ١١٥٤، ١٣٦٠، ١٤٨٥ .

(٥) الذهبي - تراجم ٧٣ حيث يقول: «كان الزهري يحدث ثم يقول: هاتوا أشعاركم وأحاديثكم فإن الأذن مجاجة والنفس محمضة» . وانظر ص ٧٤ ؛ ابن كثير ج ٩ ص ٣٤٣ .

(٦) الطبري ج١ ص ١٥٦٥-١٥٦٦ .

(٧) الطبري ج١ ص ١٠١٤ .

(٨) الطبري ج١ ص ١١٤٥ .

الكتاب[1] ترك صدى خافتاً للإسرائيليات في كتاباته، وهنا يظهر كعب الأحبار كمصدر[2].

يورد الزهري أحياناً قطعاً من الشعر في أخباره[3]. وهذا طبيعي إذا تذكرنا أن الناس عامة يميلون للشعر وإنه كان عنصراً أساسياً في الثقافة. وكان الزهري نفسه مولعاً بالشعر[4]، واشتهر بتضلعه فيه[5]. ومع ذلك فإن مقدار الشعر في مغازيه محدود، واقتباسه له لا يدل على أي أثر لأسلوب قصص الأيام.

ولم يقتصر دراسات الزهري التاريخية على المغازي بل شملت الأنساب وتاريخ صدر الإسلام، وقد عرف باطلاعه الواسع على الأنساب[6]. وقد سأله خالد القسري أن يكتب أنساب العرب، فبدأ بأنساب مضر ولكنه لم يتم ذلك[7] وأخذ عنه مصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش»[8]، وهذا يعزز قول قرة بن عبدالرحمن بأنه كتب كتاباً في نسب قومه (أي قريش)[9].

---

(١) ابن الجوزي - صفوة ج٢ ص ٨٨؛ ابن كثير ج٩ ص ٣٤٢؛ حلية الأولياء ج٣ ص ٣٦٢؛ وفي صفوة الصفوة: «وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا...».

(٢) انظر الطبري ج١ ص ١١٢، ٢٠٠-٢٠١، ٢٩٣. ولكن يبدو أن مثل هذه الأخبار لم تكن جزءاً من مغازي الزهري.

(٣) انظر الواقدي (ط. القاهرة)٩٤ و (المخطوط) ص ٥٦٩-٥٧٠؛ الطبري ج١ ص١٦٥٢-١٦٥٣.

(٤) الذهبي - تراجم ص ٧٣، ابن كثير ج٩ ص ٣٤٣.

(٥) انظر الأغاني ج٤ ص ٩٤.

(٦) ZDMG XLIV 1890 p. 343؛ حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦١؛ انظر ابن هشام (القاهرة) ج١ ص ٨؛ ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٨ «وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت لا يحسن إلا هذا».

(٧)الأغاني ج ١٩ ص ٥٩.

(٨) نسب قريش ص ٣.

(٩) الذهبي - تراجم ص ٦٨ - قال قرة بن عبدالرحمن: «لم يكن للزهري كتاب إلا كتاب نسب قومه».

وتناول الزهري فترة الخلفاء الراشدين، إذ إن الأحداث الكبرى التي لعبت دوراً أساسياً في تطور الأمة وكذلك سنن المدنية كانت مسائل حيوية درسها الزهري. فهو يعطي معلومات مفصلة عن انتخاب أبي بكر ويبين الأثر الذي تركه ذلك الانتخاب[١]. ثم يعطي الخطاب الأول لأبي بكر مع فكرة عن سلوكه كخليفة[٢]. ويورد بعدئذ نظرة علي إلى الانتخاب. ثم بيعته فيما بعد، وطلب فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) أن ترث فدك[٣]. وفيما يخص عصر عمر بن الخطاب، يتناول بتفصيل إنشاء الديوان (ديوان الجند) وتنظيمه والأعطيات[٤]، ويحتمل جداً أنه تناول الشورى[٥]. ويعطي سن عمر وبعض خطبه[٦]. ثم يفصل في خلافة عثمان، فيتناول أولاً جمع القرآن[٧]، ثم يورد تفاصيل دقيقة عن الفتنة - ورواياته عنها مهمة لأنها تعبر عن وجهة نظر المدينة للموضوع. ويبدو عثمان في رواية الزهري محبوباً خلال السنوات الست الأولى من خلافته ثم تبدأ الشكوى وتتجمع[٨]. ويفصل الزهري في ذكر الانتقادات الموجهة لعثمان[٩]، ومحاولته الرد عليها[١٠]، وتجمع الغيوم

---

(١) الطبري ق ١ ص ١٨٢٠-١٨٢٤ ؛ ابن هشام (ط. وستنفلد) ٦٧٣-٦٨٦ . وعن فورة التأثر على أثر وفاة الرسول، انظر الطبري ج ١ ص ١٨١٦-١٨١٧ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢١٤٢-٢١٤٣ ، ١٨٢٨ - ١٨٢٩ .

(٣) الطبري ج ١ ص ١٨٢٥ - ١٨٢٧ ؛ وعن وفاة أبي بكر ص ٢١٢٨ .

(٤) البلاذري - فتوح ٤٥٠ وما بعدها، ٤٥٥ .

(٥) انظر البلاذري - أنساب ج ٥ ص ٢١ .

(٦) الطبري ج ١ ص ٢٧٣١، ٢٧٥٧-٢٧٥٨ وانظر أيضاً ٢٧٩٨ .

(٧) الفهرست لابن النديم ص ٢٤ .

(٨) البلاذري - فتوح ص ٤٦٢ ؛ أنساب الأشراف ج٥ ص ٢٥ .

(٩) البلاذري - أنساب ج ٥ ص ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٨٨-٨٩ .

(١٠) نفس المصدر ص ٢٦، ٦٧ وما بعدها ، ٨٩ .

فالعاصفة فنهاية عثمان[1] ، ورد الفعل الذي تكون لدى الشخصيات الكبيرة في المدينة، وأخيراً انتخاب الإمام علي[2] . ثم يعرض نظرة طلحة والزبير إلى الخليفة الجديد، ومفاوضتهما مع عائشة، وخروج الثلاثه إلى البصرة، والمفاوضات مع علي قبل القتال وأخيراً وقعة الجمل[3] . وبعد ذلك يتناول النزاع بين علي ومعاوية، ومعركة صفين، ثم التحكيم، واستيلاء معاوية على مصر[4] . وأخيراً يذكر علاقة الحسن بالكوفيين، ومفاوضته مع معاوية، وينتهي بتنازل الحسن[5] .

ويظهر أن الزهري لم يعالج الفترة الأموية، ولكن يروى أن الوليد بن عبدالملك سأله عن أعمال الخلفاء الأمويين[6] ، كما وأنه كتب أسنان هؤلاء الخلفاء ومدة حكم كل منهم لجده[7] . ويأخذ الطبري عنه (وهذا آخر ما أخذه عنه) مدة خلافة الوليد بن عبدالملك[8] .

إن هذا القسم من دراسات الزهري يدل على أن الاهتمام بتجارب الأمة كان

---

(١) نفس المصدر ص ٦٢، ٦٧-٧٠، ٨٥، ٩١، ٩٧؛ الطبري ج ١ ص ٢٨٧١، ٣٠٥-٣١٢ .

(٢) البلاذري -أنساب ج٥ ص ٦٩-٧١، ٩١-٩٢ .

(٣) الطبري ج ١ ص ٣٠٦٩، ٣١٠٢-٣١٠٣، ٣١٨٥-٣١٨٧ .

(٤) الطبري ج١ ص ٣٢٤١-٣٢٤٢، ٣٣٤١-٣٣٤٣، ٣٣٩٠-٣٣٩٢ .

(٥) الطبري ج ٢ ص ١، ٥-٧ .

(٦) الطبري ج ٢ ص ١٤٩ .

(٧) الطبري ق٢ ص ٤٢٨ .

(٨) الطبري ق٢ ص ١٢٦٩ .

عاملاً آخر له أهميته في نشأة الكتابة التاريخية، فمبدأ الإجماع، وظهور الأحزاب السياسية والجدل بينها حول الأحداث الماضية وخاصة «الفتنة»، ومسألة الخلافة وهل هي بالانتخاب أم بالوراثة، ومشكلة التنظيم الإداري وخاصة تنظيم الضرائب[1]، والديوان - كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية. والزهري يقدم لنا روايات المدينة، وهذه الروايات بصورة عامة تظهر الأمة على صواب. فمثلاً نفهم منه أن الرسول لم يسم أحداً بعده لقيادة الأمة، فقررت مبدأ الانتخاب لا الوراثة، وانتخبت الأمة أبا بكر، حتى إن علياً الذي لم يرتح أول الأمر للنتيجة بايعه فيما بعد مختاراً. وهو يرينا أبا بكر وعمر مثلين ممتازين للصلاح، ولكن مشكلة الفتنة فيها تعقيد كبير، إلا أن الصورة التي يعطيها ليست قائمة بالشكل الذي تظهر به في روايات أخرى، ويتضح من رواياته أن المدينة انقسمت على نفسها خلال الفتنة، وأن علي بن أبي طالب اتخذ موقف الناصح في البدء، ثم اعتزل ووقف جانباً خلال العاصفة، ولكنه انزعج للغاية لمقتل عثمان. وانتخب علي لأنه المرشح الطبيعي، لمنزلته ومزاياه. وعند الحديث عن خروج طلحة والزبير، تقف الروايات التي يوردها الزهري بجانب علي وتلقي ظلاً خفيفاً على الثوار. وفي النزاع بين علي ومعاوية، تبدو قضية علي هي العادلة مع إظهار معاوية بمظهر الدهاء، ولكن الزهري يروي أن الحسن تنازل لمعاوية عن الخلافة وبذلك يختم القصة. إن الملاحظات المارة تظهر أن الزهري لم يكن متأثراً بالحزبية السياسية

(١) انظر البلاذري - فتوح ١٩-٢٠، ٥٩، ٦٨، ٨٠، ٣٨٤.

وأنه حاول أن يقدم صورة للحوادث كما تراها المدينة، وهنا لابد وأن نقول كلمة عن علاقات الزهري بالأمويين[1].

يذكر اليعقوبي أن عبدالملك بن مروان حاول خلال النزاع مع ابن الزبير أن يمنع الشاميين من الذهاب إلى الحج، وليسند موقفه نسب إلى الزهري حديثاً يجيز الحج إلى المسجد الأقصى[2]. والحديث بذاته مشكوك فيه، كما أن الزهري كان شاباً في ذلك الوقت - حوالي ٧٢-٧٣هـ - ولم يكن قد اشتهر بعد. والروايات تذكر أن الزهري سافر إلى دمشق والتقى بعبدالملك عن طريق الصدفة، وكان عند عبدالملك مشكلة فقهية خاصة، ولم يكن عبدالملك يعرفه ولكنه أعجب بعلمه وذكائه خلال المقابلة، وكافأه بدفع ديونه وبإعطائه هدية، ثم نصحه أن يتابع دراسته فرجع الزهري إلى المدينة[3]. وهذه الرواية تدل على أنه كان طالب علم آنئذ، كما أنه لا ينتظر أن ينصحه الخليفة خلال النزاع مع ابن الزبير بالعودة إلى المدينة إذا كانت له تلك الأهمية التي تبدو في رواية اليعقوبي. ومن ناحية أخرى توجد رواية عن الزهري تدلُّ على أنه كان ينتقد عبدالملك خلال فترة النزاع مع ابن الزبير[4]؛ ولذا فإننا لا نستطيع قبول رواية اليعقوبي،

---

(١) انظر الذهبي - تراجم ص ٧٢؛ أما ملاحظات كولدتسيهر في كتابه «دراسات إسلامية» Muh. Studien ج٢ ص ٣٥-٣٦، ٣٧-٣٨، ٤٠ فهي ليست دقيقة.

(٢) اليعقوبي - التاريخ ج ٢ ص ٣١١.

(٣) ابن كثير - البداية ج٩ ص ٣٤٠-٣٤١؛ الذهبي - تراجم ص ٧٠؛ ابن قتيبة - المعارف ص ٢٣٩. ويضيف ابن كثير أن عبدالملك خصص له راتباً بناء على طلبه. وانظر ابن سعد ج٧ ص ١٥٧ وابن قتيبة - المعارف ص ٢٢٨.

(٤) البلاذري - أنساب (نشره آلوارت) ص ١٦٣.

بل نأخذ رواية الزهري نفسه إذ يقول: «قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث»[1]، حوالي ٨٠هـ، أي سبع أو ثمان سنوات بعد ثورة ابن الزبير.

ومن المحتمل أن دراسات الزهري أبقته طويلاً في المدينة، مع قيامه أحياناً بزيارات متقطعة للبلاط الأموي. ثم نقل سكناه إلى إدامه جنوبي فلسطين قرب حدود الحجاز، وكان يقوم من هناك بزيارات للحجاز ولدمشق (البلاط الأموي) «لعلمه»[2]. وكان عمر بن عبدالعزيز يحترمه كثيراً[3]. ويرجح أنه استقر في دمشق في زمن يزيد بن عبدالملك وهشام. وقد عيَّنه يزيد بن عبدالملك قاضياً. وكانت صلاته وثيقة بهشام بن عبدالملك الذي جعله مؤدباً لولده. وطلب إليه هشام أن يملي الحديث لفائدة أولاده[4]، كما طلب فيما بعد من كاتبين أن يصحباه ويحضرا دروسه وأن يدونا أحاديثه ففعلا ذلك لمدة سنة[5]. ولعل هذا يفسر وجود جل تآليفه في خزانة كتب البلاط الأموي. ولكننا نلاحظ من نقاش حاد جرى بينه وبين هشام أن الزهري لم يقع تحت تأثير الأمويين. فقد سأله هشام عن المشار إليه بالآية ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ فقال الزهري هو عبدالله بن أُبي. فقال هشام: كذبت، هو علي. قال الزهري: «أنا أكذب! لا أبالك!؟ فو الله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت»[6]. هذا هو الزهري العالم.

---

(١) البخاري - التاريخ ج٤ ص ٩٣.

(٢) الذهبي تراجم ص٧٠؛ ابن كثير ج٩ ص ٣٤١-٣٤٢؛ ابن الجوزي - صفوة ج٢ ص ٧٩.

(٣) ابن الجوزي - صفوة ج٢ ص ٧٨؛ انظر ابن عبدالحكم- فتوح مصر ((نشره توري) ص ١٠٤.

(٤) الذهبي - تراجم ص ٧٠-٧١؛ ابن كثير ج٢ ص ٣٤٢.

(٥) حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦١.

(٦) الذهبي - تراجم ص ٧٢.

ولم تقتصر خدمة الزهري للدراسات التاريخية على نظرته التاريخية ودراسته لتاريخ صدر الإسلام، بل قدم خدمة كبرى لعلم التاريخ بتدوين أحاديثه. وفي داره كانت كتبه تحيطه من كل جانب[1]. كما أن خزانة الكتب الأموية ضمت أحمالاً من «دفاتر» علمه كتبت لهشام بن عبدالملك[2]. أما ما ينسب إليه من أنه قال: «كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه الأمراء فرأيت أن لا أمنعه مسلماً»[3]، فيبدو أنه صدى لآراء المحدثين فيما بعد. والحقيقة أن الزهري اعتاد أن يكتب أحاديثه ورواياته منذ كان طالب علم[4]. والرواية التالية، وهي معاصرة، تعتبر كتابته لعلمه أمراً طبيعياً. عن الليث: «قلت لابن شهاب: يا أبا بكر لو وضعت للناس هذه الكتب ودونت فتفرغت. فقال (الزهري): ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري ولا بذله بذلي»[5]. وقد أكسب الزهري الكتابة قيمة حين قال: «القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله»[6]. وروى عبيدالله بن عمر قال: «كنت أرى الزهري يعطي الكتاب فلا يقرأه ولا يقرأ عليه فيقال نروي هذا عنك فيقول نعم»[7]. وقد أدرك مالك بن أنس دور الزهري في الكتابة فقال: «أول من دون العلم ابن

(١) اليافعي - مرآة ج ١ ص ٢٦١؛ ابن قتيبة - المعارف ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) الذهبي - تراجم ص ٧٢؛ ابن كثير ج٩ ص ٣٤٤؛ حلية الأولياء ج٣ ص ٣٦١، ٣٦٣.

(٣) الذهبي - تراجم ص٦٩؛ ابن كثير ج٩ ص ٣٤١؛ وفي حلية الأولياء ج٣ ص ٣٦٣ «كنا لا نطمع أن نكتب عن الزهري حتى أكره هشام الزهري فكتب لبنيه، فكتب الناس الحديث». و قال الزهري: «كنا نكره الكتب حتى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أن نمنعه عن الناس».

(٤) انظر هذا الكتاب ص ٧٩.

(٥) الذهبي - تراجم ص ٧٢-٧٣.

(٦) ابن كثير - البداية ج٩ ص ٣٤٤.

(٧) الذهبي - تراجم ص ٦٩، ٧٠.

شهاب»[1] . وهذه الكتابة فتحت الطريق للآخرين .

بعد هذا يتضح أن الزهري وضع خطوط كتابة السيرة النبوية وإطارها وقام بدور مهم في ضبط أحاديث المدينة ورواياتها . وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فإن الزهري أسس المدرسة التاريخية في المدينة ، ويمكننا أن نؤكد أن أسس المغازي وضعت بدراساته الجدية ولم تكن وليدة قصص القصاص أمثال وهب بن منبه كما رأى البعض . وقد سار تلاميذه مثل : موسى بن عقبة وابن إسحق في الطريق الذي رسمه ، ومع أن ابن إسحق أخذ كثيراً من مادته من القصص الشعبي ومن الإسرائيليات إلا أن روايات الزهري بقيت المادة الأساسية في سيرته .

ويتضح من دراسات الزهري أيضاً أن الاهتمام بتجارب الأمة وخبراتها كان عاملاً آخر للدراسة التاريخية ، وهنا نحس أن البدايات البسيطة التي بدأها عروة نمت وأثمرت لدى الزهري .

وأخيراً فإن كتابة الزهري لعلمه ساعدت على وضع الدراسات التاريخية على أسس ثابتة وأدت إلى حفظ الروايات التاريخية الأولى .

---

(١) ابن الجوزي - صفوة ج٢ ص ٧٨ ؛ حلية الأولياء ج٢ ص ٢٦٠ .